البحث العاشر

مبدأ تنازع البقاء

وموقف الإسلام منه

إعداد
الدكتورة / سمر عبد الفتاح حسب الله سيد أحمد
مدرس العقيدة والفلسفة بكلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بالإسكندرية

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، خلق الناس على الفطرة متساوين، وبيّن جل شأنه أن هذه القاعدة حاكمة إلى يوم الدين، قائمة على صحيح ما جاء من عنده – جل علاه – فقال ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

وأشهد أن لا إله إلا الله، بعث المرسلين، وجاء بالأنبياء هداة مهتدين،وأكد على تلك المهمات فى كتابه الكريم، قال تعالى ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[2].

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله، رحمة الله للعالمين، كشف الله به الغمة، ورفع درجات أهل الهمة، فصارت العقيدة واضحة، وضوح القمر التام فى الليالى المُدْلَهِمّة، قال تعالى ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾[3].

اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آل بيته الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد............

فإن الله سبحانه وتعالى جعل القرآن الكريم شاملاً لكل شئ، من العقيدة، والعبادة،والتكاليف، بحيث لا يحتاج الناس إلى شئ بعده، قال تعالى ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[4] وجاءت السنة المطهرة لتوضيح ما

(١) سورة الروم: الآية (٣٠).
(٢) سورة النساء: الآية (١٦٥).
(٣) سورة المائدة: جزء من الآية (١٥).
(٤) سورة الأنعام: جزء من الآية (٣٨).

خفى، وتبيين ما أبهم، وتفصيل ما أجمل، وبالتالى فهما معاً المصدر الأول للإسلام[1].

وكلّما أمعن العقلاء النظر فى هذا المصدر، ازدادوا إيماناً على إيمان، وبات شعارهم الدائم ﴿وَمِنْ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾[2] وتلك طبيعة أهل التقوى وأهل المغفرة، غير أن البعض تنّكبوا الطريق السوى، واستعملتهم أهواؤهم، فانطلقت بهم إلى ما لا يحسن ذكره، ولا يقبل أمره، وبدل أن يكونوا عبادًا لله مطيعين، تحولوا إلى مكذبين بما جاء من عنده كافرين، نظروا إلى آياته نظرة المستكبرين، وتعاملوا معها مستخفين، وانطلقوا بأهوائهم، تستعبدهم شياطينهم، حتى ألّهوا المواد الخرساء الصماء، التى لا تسمع دعاء، ولا تحقق لأحد رجاء.

ثم أوغلوا فى هذا الطريق، وابتعدوا بالكلية عن دين الله، وتابعهم فى موقفهم هذا أكثر من فريق، فمنهم ذاهب إلى تأليه الطبيعة وقواها، متجاهلين أن الله هو الذى خلقها وسواها، وقالوا بتطور أجزائها، وزعموا أن تلك حقيقة قديمة، وتناسوا المعطيات الضرورية، ومن الذى خلقها وطبعها، وإلى ما تقوم به هداها.

وقد ظهرت طائفة فى الغرب تتحدث باسم التطور، وما هو إلا الإلحاد، الذى يُولج صاحبه فى إغضاب رب العباد، وظنوا الكائنات فى سباق، قويهم يُهلك ضعيفهم، ومن ذلك قولهم بتنازع البقاء، وكأن الكون بأجزائه تدور فيه الآلية، أو الميكانيكية، التى لا يعرف لها نسب ولا هوية، بل هى أفكار شمطاء، اندفعوا بها إلى العقيدة الإلهية، يريدون الاعتداء عليها، والنيل منها، وهى المقبولة عند بارئ الأرض والسماء.

---

(١) المصدر الأساسى للإسلام هو القرآن الكريم، وصحيح السنة النبوية المطهرة، بينما الفكر الإسلامى فهو تلك المجهودات التى تخدم تلك النصوص،عرضاً لها، وتقريراً، وتمكيناً، ودفاعاً.

(٢) سورة آل عمران: جزء من الآية (٧).

ومن ثم كان هذا البحث تحت عنوان " مبدأ تنازع البقاء، وموقف الإسلام منه " وقد اتخذ جملة من الخطوات من أبرزها:-

أولاً: أسباب اختيار الموضوع

١- ظهور ذوى الأفكار الإنسانية، الذين يتمسكون بما يطلق عليه المباحث المعرفية، ويصفونه بقاعدة المبادئ التطورية، بحيث يجعلونها بديلاً عن رب البرية، وما هى إلا أفكار خيالية، أخطاؤها تأتيها من كل ناحية، عقدية، ومعرفية.

٢- أن دعاة التطور فيما بينهم أطلقوا أوصاف، وأسماء جرت لهم، فمنهم من قال بالتطور الأحيائى، ومنهم ذاهب إلى التطور الاجتماعى، وفيهم من يقرر التطور الامتدادى، حتى صارت كلمة التطور إناء يستخدمه القاصى، والدانى.

٣- أن أصحاب التطور الاحيائى حاولوا صياغة بعض الجمل والمفردات، أطلقوا عليها اسم المبادئ، واعتبروها من المهمات، فمنهم من قال بأزلية المادة الصماء ، ومنهم من قال بمبدأ تنازع البقاء، ومنهم من قال بتأليه المصادفة العمياء، ومنهم من قال بتأليه الطبيعة، وباتت هذه الأقوال يُمارس بها الضغوط على المسلمين، فى محاولة لزحزحتهم عن أصول الدين.

وحاول أصحاب هذه الأفكار أن يوهموا الأغيار، أن هذا التطور بمبادئه العلمية هو قائد سفينة الحياة، فجعلوه بديلاً عن الإله، ومن هنا كان من الضرورى تناول هذه الأفكار بالتحليل، والدراسة.

٤- أن مبدأ تنازع البقاء مثّله أصحابه بقطيع حيوانات فى أرض، بينهم جائع، وفيهم صحيح، ومنهم صغير، ثم حولوها إلى مبادئ حيوية، مستغلين المغالطات المعرفية، فكان من الضرورى كشفها، حتى تظهر عوراتها، لذوى العقول من بنى الإنسانية.

٥- أن هذا المبدأ كغيره من المبادئ التطورية، يمثل جانباً نظرياً، لم

تقم عليه أدلة تجريبية، ويطعن فى ذات الوقت على مقدورات القدرة الإلهية، فالله تعالى خلق الأشياء ذكراً وأنثى، وهو أعلم بها، ولم يُنب أحداً عنه فى بيانها، فكان موقفهم هذا داعياً إلى تناولها، وبيان فسادها.

٦- أن المسلم يجب عليه القيام بتقرير عقيدته الدينية، والدفاع عنها، فى مواجهة تلك الأفكار الإنسانية، ذات الطبيعة الشيطانية، التى يزعم أصحابها قيامها فى المعارف الإنسانية، أو المناهج العلمية، وما هى بشئ من ذلك، وإن اجتمع لها كثير من أطراف الكرة الأرضية.

ثانياً: منهج البحث

(أ) **المنهج التحليلى**: وهو الذى أقوم من خلاله بتقسيم الأفكار إلى جزئيات، يتم التعامل معها، كل جزئية استقلالاً من ناحية العرض، والتفريع.

(ب) **المنهج الوصفى**: أقوم من خلاله بوصف الجزئيات المعروضة، بما قال به أصحابها، لأنهم الذين يجب أن يؤخذ بأقوالهم.

(ج) **منهج النقد والموازنة**:وهو الذى يقوم على مناقشة كل جزئية معروضة، على الجوانب الممكنة، سواء أكانت عقلية أم إحيائية، ثم المتابعة التى يظهر من خلالها الدور الإسلامى، سواء أكان ذلك من ناحية التصنيف، أم من ناحية العرض والتوصيف، وجملة هذه المناهج يطلق عليها المنهج التكاملى، طبقاً لما ذكره علماء المسلمين الأوائل، وظهر فى مؤلفاتهم، وإن لم يحمل هذا العنوان، وبناءً عليه سوف يرى القارئ الكريم جزئيات هذا المنهج، بين ثنايا سطور هذا البحث.

ثالثاً: المشكلات البحثية:

١- نظراً لأن هذه المؤلفات كتبت بلغة أصحابها، أول أمرها، فإن الترجمات الواردة بشأنها قد تباينت، بين ترجمة قاموسية، تعنى بوضع اللفظ اللاتينى فى مقابلة العربى، فتصير كقوالب الحجارة، صماء لا تبين، وهذا مما يفقد الكلمة جزءًا من معناها، أو ترجمة أدبية، صاحبها لا يهتم بالجوانب

التجريبية، فتأتى ترجماته ذات مسحة خيالية، وبعضها وهو قليل جداً قام به أصحاب النزعة الإحيائية، فاقتصد فى العبارة، وتأثر به المعنى، ومن هنا كان الوصول إلى اللباب مشكلة.

٢- أن مبدأ تنازع البقاء الذى يدور الحديث حوله هنا لم ينل إجماعاً من الدارسين، يحدد أول من قال به، ويعرّف بظروف النشأة له، وهذا من شأنه أن يجعل الباحث فى حيرة من أمره، ومن ثم قررت التعامل مع هذه الأفكار، بما صح وصوله إلينا عنها، أما ما وراء ذلك فليست مسئوليتى، نظراً للفرق بين مسئولية المنشأ، ومسئولية الناقل ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

٣- أن هذه المبادئ وقع بينها تداخل، حتى لدى القائلين بها، وآية ذلك أن الانتخاب الطبيعى، والتولد الذاتى، يتنازعان فيما بينهما، ومع هذا تم التعامل بهما لدى التطوريين، وكذلك الحال مع تنازع البقاء، هل هو فى الجمادات، أم فى الفقاريات والثدييات، أم فى النباتات، وبات الوصول إلى المقصود صعباً، فتوكلت على الله، وبذلت جهدى فى فصل بعضها عن بعض، حتى أبلغ الغاية، وكان ذلك من المشكلات البحثية.

٤- أن الباحث المسلم حينما يتناول موضوعاً كهذا، قد يقع أسيراً لسلطان عقيدته الدينية، فيمارس نوعاً من الضغوط على أدلة الآخرين، غير أنى حاولت جاهدة السيطرة على نوازعى الداخلية، فعرضت جزئياته كما رأيت، دون تدخل منى، حتى تكون هى المتحدثة بذاتها.

رابعاً: **مكونات الدراسة**:

يتكون هذا البحث بإذن الله تعالى من:

مقدمة تتضمن:

أولاً: أسباب اختيار الموضوع.

ثانياً: منهج البحث.

ثالثاً: المشكلات البحثية.

رابعاً: مكونات الدراسة.

الفصل الأول: (**مفهوم تنازع البقاء**، **وتاريخه**)

ويشتمل على:

أولاً: مفهومه.

ثانياً: تاريخه.

ثالثاً: علاقة دارون به.

الفصل الثانى: (**أنواع تنازع البقاء، عرض ومناقشة**)

ويشتمل على:

أولاً: تنازع أفراد النوع الواحد.

(أ) العرض.

(ب) المناقشة.

ثانياً: تنازع الفرد مع قوى الطبيعة.

(أ) العرض.

(ب) المناقشة.

ثالثاً: تنازع الإنسان مع الحيوان الأعجم

(أ) العرض.

(ب) المناقشة.

رابعاً: تنازع الحيوان مع مثيله، أو النبات

(أ) العرض.

(ب) المناقشة.

* **الخاتمة تتضمن**:

أولاً: أهم النتائج.

ثانياً: أبرز التوصيات.

ثالثاً: أهم المقترحات.

* **المصادر والمراجع**.

* **الفهرس**.

الفصل الأول

" مفهوم تنازع البقاء، وتاريخه "

اعتقد أصحاب المذهب التطورى في الكائنات الحية، أن هذه الكائنات يقع بينها نوع من الانتقال، الذي يعبّر عن حال متغيّرة، إذا أقبلت لا تلبث أن تزول، وغايتهم من ذلك الانتهاء إلى القول بأن جملة الكائنات الحيوية بينها نوع من السباق، إلى الغاية التى انعقدت عليها، وفى سبيل الوصول إلى تلك الغاية، يحدث نوع من الصدام، نظراً لأن الطريق الحيوى ضيق، والمارون به كثرة، وكل يسعى لتلك الغاية[1].

وفى سبيل تلك الغاية، يقع احتكاك، وتصادم، والأضعف سوف تطؤه الأقدام، أما الأقوى فإنه سينتصر حتماً، ويتغلب على غيره، وبالتالى فالتنازع بينهم من أجل البقاء ، دون حاجة إلى إله عالم قدير، له كافة صفات الجلال، والكمال، والجمال، والإكرام ، وسوف أتناول في هذا الفصل ما يلى:

أولاً: مفهوم تنازع البقاء

يعتبر ناموس[2] تنازع البقاء من المبادئ التى قامت عليها الأفكار التطورية، وقد عُرّف لديهم بجملة من التعريفات الدالة على المعنى المراد، غير أنه لمّا كانوا لا يصدرون في تعريفهم له من جهة محددة، فقد برزت لهم تعريفات عدة، كل منها على ناحية بذاتها [3].

---

(١) هؤلاء يشبهون الكائنات الحية بقطيع من الوحوش المفترسة، التى تسعى لفريسة محددة، كل منهم اشتم رائحتها، وانجذب إليها، والطريق الموصل إليها واحد، والكل يجرى إلى تلك الفريسة حتى يبقى على قيد الحياة من غير حاجة إلى إله.

(٢) الناموس عند التطوريين هو " المبدأ الذى استقر البحث فيه، وبلغت نتيجته النهاية، وانعقد الأمر عليه، فلم يعد يحتاج شيئاً وراءه " راجع للدكتورة وفاء عبد العظيم جميل: التطورات البيولوجية فى الحيوان والإنسان صـ١٣٥، دار الجيل ١٩٨٣م.

(٣) التعريفات قد تجئ فى علم من العلوم على ناحية الموضوع تارة، والغاية تارة أخرى، بجانب الحد، أو الرسم، كالحال فى علم المنطق، مثلاً، أو علم التوحيد، أو النحو، أو غيرها من العلوم ، وهذه مسألة لا تخفى بالنسبة لمن يعالج تلك الموضوعات، من الناحية المعرفية.

ولعل السبب في ذلك مرجعه أن المبدأ لديهم اعتمد على الخيال، بجانب أنه ليس علماً من العلوم، بحيث تكون له علاقة بالعلوم الأخرى، وموضوعات يتم تداولها، وغايات يسعى في الوصول إليها، وفوائد تترتب على تلك الدراسة، ومن أبرز هذه التعريفات:

١- " سعى كل كائن حى في الحصول على حقه الكامل في الحياة" (١) وهذا السعى الذي يقوم به كل كائن حى، يعبّر عن نوع من الصراع، والسبق إلى غاية بذاتها، على ناحية ديناميكية آلية، وبهذا قد يفتقد ذات الكائن التفكير، مما يجعل سعيه غير منضبط .

٢- " اتجاه الكائنات الحية إلى متطلباتها الحيوية، مع التركيز على طلب الغاية، والوصول إليها" (٢) ومادامت الكائنات الحية هى التى تسعى بذاتها نحو غاية قد تحددت سلفاً لها، فيحق أن نتساءل من الذي حدد لها تلك الغاية ؟ ومن الذي عرّفها السير في هذا الاتجاه ؟

كما أن عملية انتقال كل كائن إلى غاياته، قد لا تبدو فيها عملية الاتساق، أو تحديد الغاية، وإنما سيكون طابعها العشوائية، وبعبارة أكثر تركيزًا ستكون العفوية هى السمة الغالبة بالنسبة لها.

٣- تنازع البقاء هو حرص كل نوع من أفراد النوع الواحد على الاحتفاظ بحقه، متى وصل إليه، وسيظل سعيه نحوه دءوباً، ولا يتوقف عنه حتى لو هلك، فلأن يموت في سبيل البقاء، خير من أن يموتن بلا بحث عنه أصلاً (٣).

ومادام تنازع البقاء هو السمة الغالبة بين كافة الكائنات الحية، فإنه

---

(١) اندريه فيكتور: التطور الإحيائى والمنظومة الطبيعة صـ١٧ ترجمة هناء خليل طبعة المقطم ١٩٨١م.

(٢) الدكتور حسن نشأت صبرى: الدارونية ومشكلاتها الحيوية صـ٣١ مكتبة فوزى ١٩٧٤م.

(٣) راجع لفيشر فوديكر: التطور الإحيائى دراسة علمية حديثة صـ٦١: ٦٢، ترجمة عز الدين على طه، مكتبة المعصراوى ١٩٦١م.

جزءًا من طبيعتها، وهو ما دعا الكثيرين من خصوم المذهب التطورى إلى نقده، من تلك الناحية، فيقول الدكتور عز الدين محمد عبد السلام إن تنازع البقاء جعله التطوريون فاعلاً أصيلاً، مع أنهم عجزوا عن تقديم مفهوم له، ولم يستطيعوا إيجاد علاقة رابطة بين الفكرة التاريخية التى طنطنوا بها، وبين الواقع الذي عاندهم، ولم يستجب لتوسلاتهم(١).

ويعزى إلى دارون(٢) القول بأن تنازع البقاء هو حركة داخل الكائن الحى، تدفعه إلى سبق أقرانه، والتدافع معهم في سبيل أن يبقى هو، حتى وإن أدى ذلك إلى هلاكهم جميعاً، ويضرب لذلك مثالاً بالأغنام الجائعة التى خرجت من حظيرتها، إلى حقل بعيد جداً، ومرت في طريق ضيق به عوائق كثيرة، من أخشاب، وأحجار، وبقايا جذوع أشجار، وخلافها، وفى أثناء ذلك هلك جمع كثير منها، إما لضعف صحته، أو لشدة العطش، أو هلكت في صدامها مع غيرها، فكان البقاء للأقوى هو القاعدة(٣).

من جملة ما سبق استبان أن تنازع البقاء مفهوم خيالى، صوره أصحابه من خلال رؤية قاصرة، في جملة من الكائنات الجائعة، ثم عمموها في باقى الكائنات العاقلة، وغير العاقلة، والسؤال الآن إذا كان تنازع البقاء سمة من سمات الكائن الحى رغبة في الحياة، وأخذنا الإنسان نموذجاً يتم

---

(١) يراجع الدكتور عز الدين محمد عبد السلام: نقد الأفكار التطورية صـ١٠٣، ١٠٤ مكتبة سعيد رزق بالقاهرة ١٩٩٥م.

(٢) تشارلس دروين أحد علماء انجلترا الطبيعيين، ولد سنة ١٨٠٩م، درس الطب فى أدنبرة، ولكنه عكف عن دراسته، واتجه إلى دراسة اللاهوت فى كمبردج، فما لبث أن انصرف عنه، اشترك فى رحلة حول الأرض، استمرت خمس سنوات، جمع خلالها عددًا من الملاحظات، كانت أساساً لنظريته التطورية، قضى بعدها حوالى ربع قرن يدعمها، ويجادل عنها، ويعالج ما يستجد له من مسائل فى ضوئها، من أشهر كتبه أصل الأنواع، تغير الحيوان والنبات فى حال الدجن، توفى سنة ١٨٨٢م يراجع للأستاذ يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة صـ٣٥١ مكتبة الدراسات الفلسفية، دار المعارف بالقاهرة، الطبعة الخامسة.

(٣) يراجع لادوارد فيشر: المبادئ التطورية صـ١٩، ٢٠ ترجمة عدلى زكريا مراجعة الدكتور حسن طه، مكتبة الشباب ١٩٨٥م.

التطبيق عليه، ففى أى مرحلة من مراحل حياته وقع هذا التنازع ؟

فالإنسان يمر بجملة من المراحل لا يمكن فصل إحداها عن غيرها، على ناحية دقيقة حاسمة، وإنما الفصل فيها يجئ من ناحية اعتبارية، ومن أبرز الشواهد عليه، أن الإنسان تمر حياته بثلاثة أقسام، كل قسم، أو مرحلة لها مراتب، من أبرزها:

١- مرحلة ما قبل الولادة:

(أ) **المرتبة الأولى:** ما قبل الجنينية

وهى التى تتمثل فيها العلاقة النموذجية الرائعة بين الحيوان المنوى والبويضة، وهى المشار إليها بقول الحق تبارك وتعالى ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧)﴾[١].

يقول الإمام القرطبي (**ت ٦٧١**) " الدافق هو المندفق بشدة قوته وأراد ماءين: ماء الرجل، وماء المرأة، لأن الإنسان مخلوق منهما، لكن جعلهما ماء واحداً لامتزاجهما".[٢]

(ب) **المرتبة الثانية:** المشيجية

وهى التى يقع فيها الاختلاط بين مكونات البويضة، ومكونات الحيوان المنوى، وتعرف بالخلية الأولى من الناحية الإحيائية[٣] وهذه المرحلة هى المشار إليها بقوله تعالى ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ

---

(١) سورة الطارق: الآيات (٥: ٧).

(٢) الإمام أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبى بكر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) المجلد العاشر جـ٢٠ صـ٤٤ تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة ، ط٢، سنة ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م.

(٣) هذه الخلية تتكون من ستة وأربعين زوجاً صبغياً، تعرف باسم الكروموسومات، لكل واحد منها مائة ألف جين وراثى، فى كل جين مجموعة هائلة من الأحماض الأمينية، والنووية، والبروتينية المسئولة عن هذا الكائن، وتعرف باسم الخريطة الجينية راجع للدكتور محمد عبد الحليم متولى: من مظاهر التقدم فى العلوم البيولوجية صـ١١٣، ١١٤ مكتبة النهضة ١٩٧٥، وراجع للدكتور محمد عبد القادر: بيولوجية الإيمان صـ٢٧، مكتبة النهضة المصرية ١٩٩٨.

سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ (١).

يقول الإمام السمرقندي " يعنى مختلطاً، ماء الرجل ، وماء المرأة، لا يكون الولد إلا منهما". (٢)

(ج) **المرتبة الثالثة**: التصوير في الأرحام

وهى التى تحدث فيها انتقال بيد القدرة الإلهية، من نطفة إلى علقة، حتى تتم كسوتها بالعظام، وإليها أشارت بعض آيات القرآن الكريم ومنها قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ (٣).

يقول الإمام الزمخشري (ت٥٣٨هـ) "... العلقة قطعة الدم الجامدة، والمضغة اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ، والمخلقة: المسواة الملساء من النقصان والعيب، ... وكأن الله تعالى يخلق المضغ متفاوتة: منها ما هو كامل الخلقة أملس من العيوب، ومنها ما هو على عكس ذلك، فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس فى خلقهم، وصورهم، وطولهم، وقصرهم، وتمامهم، ونقصانهم". (٤)

كما يستدل عليها بظاهر قوله تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ (٥).

(د) **المرتبة الرابعة**: الخلق المتكامل

وهى التى يكتمل فيها نمو الكائن الحى داخل الرحم، ويتم إطلاق لفظ

---

(١) سورة الإنسان: الآية (٢).
(٢) الإمام أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي: بحر العلوم جـ٣ صـ ٥٠٣ تحقيق د/ محمود مطرجي، دار الفكر بيروت.
(٣) سورة الحج: جزء من الآية (٥).
(٤) الإمام أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري: الكشاف على حقائق غوامض التنزيل جـ٣ صـ١٤٤، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.
(٥) سورة آل عمران: الآية (٦).

الجنين المتكامل عليه[1] وهى المشار إليها بقوله تعالى ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[2].

يقول الإمام الرازي (٦٠٦هـ) " خلقاً آخر أى خلقاً مبايناً للخلق الأول ، مباينة ما أبعدها، حيث جعله حيواناً وكان جماداًَ، وناطقاً وكان أبكماً، وسميعاً وكان أصماً، وبصيراًَ وكان أبكماً، وأودع باطنه وظاهره بل وكل عضو من أعضائه، وكل جزء من أجزائه عجائب فطره، وغرائب حكمة لا يحيط بها وصف الواصفين، ولا شرح الشارحين".[3]

ومجموع تلك المراتب يمكن أن يطلق عليها كلها مرحلة ما قبل الولادة، لأنها تشمل الإنسان منذ تكوين جزء الخلية الأول حتى الولادة، وخروجه من الحياة الرحمية إلى الحياة الدنيوية، أو ما يمكن أن يطلق عليه اسم الحياة خارج الرحم[4].

والسؤال الآن متى تم التنازع ؟ في أى مرتبة من المراتب داخل تلك المرحلة المحددة في معالمها المتعددة بالنسبة لمراتبها ؟

لإن كان التنازع عندهم قد صوروه أثناء مرحلة بحث الحيوان المنوى عن البويضة، حتى يتم له التعلق بها، فقد فاتهم أن الحيوان المنوى في تلك الفترة ليس عاقلا حتى يسعى إلى غاية، بل إنه جزء غير متكامل الخلية، كل

---

(١) راجع للدكتور حسن محمد عبد العظيم طلبة: هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء صـ١٠٦، ١٠٧ مراجعة الأستاذ الدكتور صبرى عبد العظيم نوفل مطبعة المدينة ١٩٨٧م.

(٢) سورة المؤمنون: جزء من الآية (١٤).

(٣) الإمام أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن الرازي : مفاتيح الغيب جـ٢٣ صـ٢٦٥ دار إحياء التراث العربي بيروت طبعة ثالثة ١٤٢٠هـ.

(٤) المرحلة السالفة فى مجموعها تطلق عليها اطلاقات كثيرة، وتحيط بها تسميات عديدة، منها تسميات مرحلة ما قبل الولادة، ومنها مرحلة حياة الأرحام، ومنها مرحلة ما قبل الحياة الدنيا، إلى غير ذلك من التسميات، التى انتشرت فى المؤلفات المتعلقة بالحديث عن حياة الطفل داخل بطن أمه، أو مراحل الإنسان فى الخلق الأول، لمزيد من المعلومات عن هذه المراحل يراجع للدكتور/ سعد الدين السيد صالح المعجزة والإعجاز فى القرآن الكريم صـ١٩١: ١٩٥، دار المعارف بالقاهرة طبعة ثانية ١٩٩٣م.

ما في الأمر أن الله تعالى فطره على إصدار إشارات للبويضة، حتى تفتح له جزءاً من غشائها المبطن، عن طريق ومضات ترسلها له، فيتم التعارف بينهما طبقا للحكمة الإلهية [(١)].

(٢) **مرحلة ما بعد الولادة**:

وهى تنقسم بالنسبة للإنسان إلى أربعة مراتب.

(أ) **المرتبة الأولى**: النمو

وتكون بطيئة في الأطفال وتستمر حتى سن العشرين تقريبا [(٢)] وهذه المرتبة لها مظاهر عديدة أبانت عنها المؤلفات العلمية.

(ب) **المرتبة الثانية**: الثبات الخلوى

وهى التى تبدأ من سن العشرين غالباً حيث تأخذ البنية الأساسية الشكل الطبيعى وتظل تلك المرحلة قرابة عشرين عاماً بالنسبة للأمور الطبيعية[(٣)] وهذه المرتبة لها من المظاهر ما يجعلها تتميز عن سابقتها.

(ج) **المرتبة الثالثة**: الشيخوخة

وهى التى تبدأ من سن الأربعين وتستمر حتى الستين غالباً.

(د) **المرتبة الرابعة**: مرتبة الضعف والانهيار

وهذه المرحلة تكون سريعة في الإنسان.

وقد جاءت الإشارة القرآنية إلى هذه المراتب كلها، في آية قرآنية تمثل الإيجاز، وتعبّر عن الإعجاز، وتلخص حياة الإنسان،قال تعالى:

---

(١) راجع للدكتور عمر محمد عبد الخالق أبو طويلة: حكمة الله فى خلق الإنسان صـ١٣ مكتبة فوزى ١٩٨٤م وهذه المسألة مما يتردد على ألسنة العلماء فى مؤلفاتهم، لمزيد من التفاصيل راجع للدكتور شعبان على صالح: الذكر والأنثى صـ٣٧، ٣٨، طبعة الأقصى ١٩٨١م.

(٢) راجع للدكتور فوزى محمد نصر: الهندسة الوراثية ومشكلاتها الحيوية صـ٨٣، ٨٤ مكتبة سعيد رزق عين شمس ١٩٨٤م.

(٣) راجع للدكتور محمد مصطفى الفولى: بعض مظاهر التقدم فى العلوم البيولوجية صـ٢١٣ طبعة القاهرة ١٩٧٨م.

﴿وَمِنَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾(١).

يقول الإمام ابن كثير (ت٧٧٤) " ينبه تعالى على تنقل الإنسان في أطوار الخلق حالاً بعد حال ، فأصله من تراب ثم من نطفه، ثم من علقة، ثم من مضغة، ثم يصير عظاماً، ثم تكسى العظام لحماً، وينفخ فيه الروح، ثم يخرج من بطن أمه ضعيفاً، نحيفاً واهن القوى، ثم يشب قليلاً، حتى يكون صغيراً، ثم حدثا، ثم مراهقا شاباً، وهو القوة بعد الضعف، ثم يشرع فى النقص فيكتهل، ثم يشيخ، ثم يهرم، وهو الضعف بعد القوة، فتضعف الهمة والحركة والبطش، وتشيب اللغة، وتتغير الصفات الظاهرة والباطنة".(٢)

ومحل الشاهد أن كل فرد يمر بتلك المراتب، حتى وإن كان جنيناً في بطن أمه، فليس المراد المدة الزمانية على ما نفهمها من الزمان الفلكى، وإنما قد تكون داخلة في نطاق الزمان المقدّر في علم الله الأزلى، الذي لا يعلمه إلا هو جل علاه(٣) ولا يخفى أنه لا توجد صورة من صور تنازع البقاء، التى قال بها التطوريون في أى من المرحلتين السابقتين.

(٣) **مرحلة ما بعد الموت**

وتبدأ من انفصال الروح عن الجسد، انفصالاً كاملاً، وتمتد إلى البرزخ وما بعده، حتى البعث، والنشور، حيث إخراج الله الموتى بأجسادهم وأرواحهم للعرض عليه، والحساب بين يديه، فإذا انتهى أمرهم دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، والسؤال الآن هل في القبور تنازع بقاء ؟ هل في البعث والنشور تنازع بقاء ؟ هل في الحساب والجزاء تنازع بقاء ؟

---

(١) سورة الروم: الآية (٥٤).

(٢) الإمام أبوالفداء إسماعيل بن عمر بن كثير : تفسير القرآن العظيم جـ٣ صـ٥٣٢ تحقيق محمود حسن، دار الفكر الطبعة الجديدة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤.

(٣) لمزيد من التفاصيل حول هذه الجزئية، وحول موضوع الزمان المقدّر، فى علم الله تعالى " راجع بحثنا للدكتوراه بعنوان " الزمان المقدّر بين المثبتين والنافين " كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة ".

إن الأمر لا يعدو بالنسبة له أن يكون خيال حالم، ولو أن ما دار في أحلامهم اقتصر على المعارف الإنسانية، ما كنا تعرضنا لهم على أية ناحية، أما وإنهم قد قفزوا إلى عقيدتنا الدينية، وحاولوا النيل منها، فقد بات من الواجب التعرض لها، وبيان أوجه فسادها.

ثانياً: **تاريخه**:

التاريخ هو الوعاء الزماني، الذي تدور فيه الأحداث، مرتبطة بأشخاصها، وأماكنها، ومقوماتها، لأن التاريخ وحدات زمانية، يحد الحركة، والمكان، والأشخاص، ولذا فهو رباعى التكوين، هذا بالنسبة للتاريخ الإنسانى العام[1].

والمتابع لمبدأ تنازع البقاء من الناحية التاريخية، يرى أن البعض اعتبر بدايته من استنتاجات دارون، الذي ذكر أن جميع الكائنات الحية فيها ميل للتكاثر، وهو مرتبط بثبات عدد الأنواع [2].

غير أن القراءة المتأنية لما يدور في رحى الأفكار التطورية، التى وصلت معالمها إلى الثقافة القائمة، يجد أن دارون لم يكن مستنتجاً لهذا المبدأ، وإنما كان موظفاً جيداً، للأفكار التى وصلت إليه عن غيره، وبالتالى فتاريخ تنازع البقاء يكون سابقاً على وجود دارون، فإذا تقرر هذا تبيّن أن دارون لم يكن منتجاً،وإنما مستنتجاً.

وقد بان ذلك من أقوال أولئك الذين تعايشوا مع الأفكار التطورية،

---

(١) هذه الرباعية تبدو فى:
١- الحدث، ٢- المكان، ٣- فاعل الحدث، ٤- الزمان الذى تم فيه وقوع الحدث، وهذه المظاهر الأربعة لها جوانب عديدة فى القرآن الكريم، جمعت كلها فى قوله تعالى ﴿وَمِن فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾﴾ سورة المرسلات: الآية (٢١).

(٢) راجع للدكتورة وفاء عبد العظيم جميل: التطورات البيولوجية فى الحيوان والإنسان صـ١٤١ وهما كما يرى البعض مبدآن عند دارون فيكون هذا الاستنتاج لا حق لوجود دارون وليس سابقاً عليه.

وكانت لهم فيها آراء يمكن حسبانها من الناحية المعرفية، فيقول جورج هيبان " إن الأعداد في الكائنات الحية تتزايد على شكل متوالية هندسية، وهى التى تعرف بأنها الزيادة التى تبدأ من الضعف فما فوق، منسوباً للحد الذى قبله، باعتبار الزيادة والنقصان، ولذلك فهى نوعان:

إحداهما: متوالية هندسية بزيادة.

الثانية: متوالية هندسية بالنقصان، بمعنى أن الزيادة فيها تقع على التضاعف من ناحية الأصل، وبناء عليه، فالأحياء يتضاعفون، والطعام، والدواء يتضاعف هو الآخر وبناء عليه فلا يكون التنازع حاسماً، ومع هذا فهى فكرة ليست حديثة وإنما هى موجودة، وإن لم تنل القبول[1].

ثم جاء روبرت مالتوس " ١٧٦٦-١٨٣٤م " ونظر إلى ما تركه هيبان، وانتهى إلى أن الأحياء إذا كانوا يتضاعفون على نمط المتوالية الهندسية، فمن الضرورى القول بأن الغذاء، والدواء، والإنتاج، يستلزم إيجاد صيغة توفيق بين عدد الأحياء، وما يلزم لهم من الغذاء، والدواء[2].

لذا رأى أن الحرب، والهجرة، مظاهر قانون طبيعى يرمى إلى تقليل عدد السكان، للمعادلة بينهم وبين أسباب المعاش[3].

ولما جاء دارون اطلع على ما تركه السابقون، واعتبره من جملة الحقائق العلمية أو من المبادئ الثابتة في الطبيعة، والكائنات الحية، وكانت غايته من ذلك إيجاد أرضية مشتركة، تجمع بين الأفكار السابقة، في نسق

---

(١) جورج هيبان: العالم الاحيائى دراسة هندسية صـ٦٥، ٦٦ ترجمة عادل زكى طبعة مكتبة رأفت ١٩٩٥م.

(٢) يراجع جورج بيير: الأفكار التطورية والتاريخ العام صـ٩١ ترجمة زكريا فضل، المكتب المصرى ١٩٩٥م، ويراجع لشمس الدين أق بلوت: دارون ونظرية التطور صـ١٢ ترجمة أورخان محمد على، دار الصحوة بالقاهرة.

(٣) يراجع للأستاذ يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة هامش صـ٣٥٢، وإن من أخطر الآثار المترتبة على هذه الفرضية هو تفسير مسيرة المجتمعات البشرية على ضوئها، فقد روجت لفلسفة العنف والاعتداء، فالقوى يجتهد حتى يصل على أشلاء الضعيف، كما أنه يلزم منها بأن الحروب والنزاعات الدموية بين البشر، هى ظاهرة طبيعية لا يمكن اجتنابها فهى تستخدم لتمجيد الحرب، باعتبارها ممارسة شرعية لمبدأ البقاء للأصلح.

رياضي، لكنه تسرع في ابتسار النتائج، وبالتالى لم يكن دقيقاً في القول بتنازع البقاء[١].

ولئن كان دارون فشل في تقديم تاريخ دقيق لظهور مبدأ تنازع البقاء، فإن الفكرة من أصلها تكون خيالية، نظراً لافتقادها العناصر المتممة لها، لما سبق القول به من المكونات التاريخية.

ومن الشواهد على أن هذه الفكرة خيالية، والتاريخ ليس شاهداً لها، هو أن أعداد السكان في الكرة الأرضية يتزايد على الدوام، فلو كان هناك تنازع في البقاء لحدث نقص في عدد السكان، ويقوم بهذا العمل الطبيعة، التى جعلوا منها إلهاً.

تبقى مسألة مهمة للغاية، هل كان دارون هو الذي صاغ تنازع البقاء أثناء الحديث عن توارث الصفات المكتسبة، أم أنه خصه بتنازع العضلات والمنافع، وليس تنازع المفاهيم، والاحتياجات ؟

يقول الدكتور زكريا عبد العظيم، إن دارون أثناء بحثه في الكائنات الحية، تناول الصفات المكتسبة والوراثية، ثم انتهى إلى وجود نوع من التنازع داخل تلك الصفات، فالمتنحى يريد أن يقفز حتى يكون سائداً، والسائد يحاول التمسك بالظهور، ومن ثم فهو تنازع منافع وعضلات،وليس تنازع مفاهيم واحتياجات[٢].

" لقد رأى دارون أن عبارة تنازع البقاء تستعمل لمعنى واسع مجازى، يدخل فيه توقف حياة فرد على آخر، وأيضاً وهو الأهم، تمكين لفرد من أن يخلف نسلاً، فليس تنازع البقاء كفاحاً عضلياً يمتاز فيه القوى من فردين متنازعين فقط، بل هو أيضاً كفايات أخرى، كثيراً ما تكون غامضة، ضئيلة القيمة، ولكنها تظهر الحاصل عليها على خصمه، وقد لا يكون هذا الخصم حراً شديداً، أو جفافاً، أو قحطاً، أو مرضاً، أو قد لا يكون التنازع بينه وبين

(١) يراجع للدكتور محسن محمد صالح: دارون والداروينيه صـ٤٨، ٤٩ مكتبة الهدى ١٩٨٧م.

(٢) يراجع للدكتور زكريا محمد عبد العظيم: التطوريون الأوائل صـ١٦١ القاهرة الطبعة الثانية ١٩٩١م.

حيوان أخر مباشرة، بل قد يكون بين حيوانين، أو نباتين حياته هو متوقفة على أحدهما، بحيث يبلغه صدى المعركة بينهما وينفعه أو يضره [(١)].

كما أن جوليان هكسلى هو الآخر، قد ألمح إلى مبدأ تنازع البقاء المتعلق بالمنافع والعضلات، أثناء الحديث عن الانتخاب الطبيعى، وكذلك فعل لامارك[(٢)] أثناء حديثه عن توارث الصفات المكتسبة.

ومن البيّن القول بأن ملاحظات مالتوس في عالم النبات، أو الحيوان قد ساعدت دارون في إعادة صياغة فكرته في شكل أفضل، من خلال مجموعة مبادئ، وقف عليها، وذلك لأن مالتوس اعتقد أن الكائنات الحية كلما وجدت نداءًا يلبّى احتياجاتها الضرورية فإنها تتزايد أعدادها، وكلما نقص الغذاء أخذت في التناقص أعدادها، وأرجع ذلك إلى ما أسماه التنازع، أو الصراع من أجل البقاء [(٣)].

ولكن هل كانت ملاحظات دارون على ما سبقه تمثل نزعة إحيائية، يمكن القول بأنها أثرت في مبدأ تنازع البقاء، أم أن أفكاره كانت خيالية، لا يمكن حسبانها ضمن التوجهات المعرفية ؟ وبعبارة أخرى، هل استطاع دارون أن يقدم جديداً ينسب إليه من الناحية التاريخية ؟ والجواب: أن ملاحظات دارون على نتائج مالتوس لم تكن واقعية، وذلك لأن مالتوس كان يتعامل مع الكائنات من خلال نسق رياضى، وضعه في إطار المتوالية الهندسية، فهو أقرب الأشباه إلى عالِم الإحصاء، الذي تعامل مع كافة الكائنات على أنها

---

(١) يراجع لسلامة موسى: نظرية التطور وأصل الإنسان صـ٨٣، ٨٤ نشره الياس أنطوان إلياس، المطبعة العصرية بمصر.

(٢) عالم فرنسى ولد سنة ١٧٤٨م، بدأ حياته العلمية بدراسات فلكية، وجيولوجية، ثم عكف على دراسة النبات، ونشر كتابا فى ثلاثة مجلدات بعنوان النبات الفرنسى، وصف فيه جميع النباتات التى تنمو بفرنسا نمواً طبيعياً، ورتبها تبعاً للمنهج التحليلى، توفى سنة ١٨٢٩م، يراجع للأستاذ يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة صـ٣٠٠.

(٣) يراجع لجاكوب برونوفسكى: التطور الاجتماعى مشكلاته الأساسية والحلول العلمية صـ١٤١ ترجمة وفاء شاكر مراجعة أمل ذكرى القاهرة ١٩٨١م.

أرقام حسابية، يتمثل فيها الكم المنفصل.

كما أن دارون وهو يتناول نتائج مالتوس قد وقع له إعجاب به، فأغمض عينيه على عورات ما به، وحاول إيجاد طريق له فيه، أو تفصيل ينفرد به، فانتهى إلى أن مبدأ تنازع البقاء على النحو الذي بلغه، تحكمه حقيقتين:

الحقيقة الأولى:

تكاثر الكائن الحى في النبات، والحيوان بنسب هندسية[1].

حاول تطبيق هذه القاعدة على الإنسان، وفى ذات الوقت اتخذ من سكان أمريكا نموذجاً تطبيقياً، فذكر أنهم قد تضاعفوا في خمسة وعشرين عاماً، عدة مرات ومن هنا أبدى قلقه من المستقبل، إذا حدث فيه تناقص من ناحية الغذاء [2].

وقد تناسى مالتوس أنه وضع الغذاء في مقابل أعداد الناس، من الناحية الإحصائية، ولم يدر بخلده أن الرزاق ما خلق إلا رزق، وما انقطع رزق إلا مع انقطاع أجل، وهى حكمة إلهية دلت عليها النصوص الشرعية، كما أن مالتوس شغل وظيفة ملاحظ نباتى، ورجل إحصائى، وهو يرى أن حبة الفول الواحدة، تنتج حبات كثيرة، والقمح كذلك، لكنه على يقين من أن الآباء أقل من أبنائهم في العدد، وأن الأبناء يتضاعفون إلى حد الكثرة، سواء أكان هذا التكاثر جنسياً أم كان لا جنسياً[3].

---

(١) يراجع لداروين: أصل الأنواع صـ٢٢، ترجمة مجدى محمود المليجى، تقديم سمير حنا حنا صادق، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.

(٢) يراجع لجرهام كانون: نظرات فى تطور الكائنات الحية صـ٥٣ ترجمة رشاد صادق القاهرة ١٩٨٥م، ويراجع لأنتونى هارد: التطور الحديث صـ٧١ ترجمة هناء صقر القاهرة ١٩٩٣م.

(٣) التكاثر الجنسى يتطلب تدخل فردين يختلفان في الجنس (ذكر وأنثى) مثل التكاثر فى الإنسان، بينما التكاثر اللاجنسي يمكن للفرد إنشاء أفراد جديدة، مثل تدخل فرد آخر كالتوالد العذري ، والتبرعم.

وبناء عليه فإن ما قدمه مالتوس لا يعتبر قاعدة عامة، ولا حقيقة ثابتة، لأن تلك المشاهدات لا تقوم على تجربة عملية، وفى ذات الوقت فإنها تقع في نطاق الخداع المعرفى(١) وقد وقع دارون في نفس المشكلة، حيث اعتبر أقوال مالتوس حقيقة برهانية وقاعدة عامة، بل ظنها القانون الثابت، فيقول " إنه لا يوجد استثناء للقاعدة التى تقرر أن جميع أنواع النبات والحيوان، التى قال بها مالتوس، تتناسل وتزداد عدداً بمعدل كاف، لأن يغطى نسل زوجين اثنين سطح الأرض كله في وقت قصير جداً، ما لم ينشأ من العوامل ما يؤدى إلى فناء الجانب الأكبر (٢).

ومن ثم فإن دارون دافع عن فكرة خيالية،وأغلق الباب على نقدها، واعتبرها عقيدة دينية، داخل إطار الفهم الداروينى، وهو ما يسمى الدين الوضعى، أو الإنسانى.

الحقيقة الثانية:

أن التكاثر المتزايد يتم في سرعة مذهلة، غير أن عدد أفراد كل نوع يكاد أن يكون ثابتاً، في ذات النوع، بمعنى أن أفراد الإنسان يتضاعفون بسرعة وأفراد الحيوان الذين تؤخذ منهم الاحتياجات الضرورية للإنسان، يتضاعفون بذات السرعة.

وإذا نظرنا إلى النبات وجدنا التضاعف في أفراده بأكثر من تلك السرعة.

يراجع لمجموعة من الأساتذة : علم الأحياء للصف الثالث الثانوي صـ٢٦: ٣٦ مراجعة أ.د/ فاطمة محمد مظهر ٢٠١٤ـ ٢٠١٥م.

(١) الخداع المعرفى يقوم على تلقى معلومات، يظن أنها صحيحة، فإذا ما تم فحصها بان خطأها، ومنها القول بتنازع البقاء، وقدم العالم، وتأليه الطبيعة، إلى غير ذلك من المعارف، التى يقع لأصحابها خداع بها.

(٢) الأستاذ فايز فرح رمسيس: الإحيائيون فى الميزان صـ٧٠، ٧١ مطبعة المقطم ١٩٧٣، ويراجع للدكتور عبد الحميد عثمان: الفكر المادى الحديث صـ١٣١ وللدكتور أحمد عبده الجمل فى المذاهب المعاصرة صـ١٦٧.

وقد ذكر دارون أن الإنسان الذي يتكاثر ببطء نسبى، يضاعف عدده كل خمسة وعشرين عاماً، والفيل وهو أبطأ الكائنات تكاثراً، إذا أنجب زوج منه خلال حياتهما ستة فيلة، واستمرت تلك الفيلة في التوالد، فإن عدد الفيلة يصبح ١٩ مليونا، في ظرف ثمانية قرون، ولكن رغم هذا التوالد السريع فإن عدد أفراد كل نوع يكاد يكون ثابتاً، فكيف حدث ذلك إن لم يكن هناك ضابط، يوقف تكاثرها، ومن هنا توصل دارون إلى أولى نتائجه، وهى أن هناك صراعاً على البقاء [١].

كما رأى أن هذا التنازع من أجل البقاء، إنما هو ناموس شامل، عامل، كل يوم في إبادة بعض الأحياء، وإبقاء بعضها[٢].

ونفس الفكرة رددها من قبله هكسلى، حيث رأى أن تنازع البقاء ناموس، يتمشى صارماً قاسياً بين الأحياء، ينقى منها ما يشاء، وعبّر عن ذلك بقوله " الطبيعة حمراء بين الناب والمخلب " [٣].

ومادمت قد عرضت مفهوم تنازع البقاء، وتاريخه، ودور أشهر رجال التطور فيه، فقد صار من المناسب الانتقال إلى أنواع البقاء عرضاً عند أصحابها، ومناقشة على منهج الإسلام، حتى يكون الأمر على قاعدة منهجية، وسأتناول ذلك فيما يلى من صفحات، إن شاء الله تعالى.

---

(١) يراجع للدكتور محمد غلاب: أصل الإنسان صـ٢٩ الهيئة العامة للتأليف والنشر طبعة ١٩٧١م

(٢) يراجع لسلامة موسى: أصل الإنسان صـ٨٨.

(٣) المرجع السابق صـ٨٩.

الفصل الثانى

" أنواع تنازع البقاء عرض ومناقشة "

الدارس للفكر التطورى الإحيائى، يجد أن تنازع البقاء كمبدأ حيوى لديهم، تنوعت جزئياته، وتعددت مظاهره، باعتبارات مختلفة، فإذا كان التنازع في الأحياء، أو بينها هو المفهوم الذي نادى به التطوريون، فقد بان أنه أنواع، وليس نوعاً واحداً.

ومن أبرز تلك التنوعات، ما يجئ من ناحية المفهوم، أو ما يجئ من ناحية الأفراد، أو ما يجئ من ناحية الانتماء، أو الالتجاء، حتى صارت المسألة كأنها لا تجد حصراً لها، تقف عنده، ومتى حاولت تتبع تلك الأنواع في جزئياتها، استغرقت صفحات عديدة، قد تحتاج بحثاً بأكمله، غير أنى سأجمع كل ما يتفق على ناحية بذاتها في نوع واحد، بغرض توفير الجهد، واختزال المساحات، وسيكون ذلك بإذن الله تعالى على النحو التالى:

النوع الأول: تنازع أفراد النوع الواحد

(أ) العرض:

الإحيائيون ينظرون إلى منظومتهم الإحيائية، لا على ناحية توصيفية، وإنما تصنيفية[1] وهذا النوع يتم فيه توصيف المنظومة الفقارية كلها، أو الثديية جميعها، على ناحية مما سلف ذكره، أو أفراد نوع من أنواعها، بحيث يكون ذلك التنازع على شئ بعينه، وهاك المثال التقليدى لفكرة تنازع أفراد النوع الواحد.

هب أن قطرة ماء واحدة، أو كسرة خبز واحدة، في أرض بعينها، وأفراد النوع الإنسانى يحتاجونها، وهى لا تكفيهم جميعهم، فلابد من تنازعهم بشأنها، طلباً للحياة، وتمسكاً بها [2] فأى واحدٍ من هذه المجموعة، هو الذي سيفوز بقطرة الماء، وكسرة الخبز، من المحتم أن واحداً فقط، هو الذي سيفوز بها، والآخرون لم يتمكنوا من الوصول إليها[3].

ويذكر البرونوفسكى، أن تنازع أفراد النوع الواحد، قد يكون طلباً للحياة في أرض بعينها، وهى لا تتسع لهم جميعاً، وإنما تتسع لعدد قليل جداً منهم، حينئذ يحدث التنازع، وقد يكون سبب هذا التنازع تكوين الملكية الفردية، لأن

(١) التوصيف هو المتعلق بالوظيفة، نظراً لارتباطه بأدائها، ولذا فالنواحى التوصيفية لكائن ما تستلزم الشكل الخارجى، أما التصنيفية، فهى وضع المجموعات ذات النوع الواحد فى تصنيف بذاته، ثم تتم عملية تصنيف داخلية له أيضاً، فمثلاً الأغنام هذا تصنيف ينفصل عن الماعز، ثم يتم فصل إناثه عن ذكوره، بحيث يقال هذا تصنيف الذكور، وذاك تصنيف الإناث، فإذا أردنا وصف كل من الذكور والإناث، فلابد من الوظيفة التى يقوم بها، على ناحية استقلالية ومن ثم بان الفرق بين التوصيف، والتصنيف.

(٢) يراجع لإلياس رمزي أنطوان: التطور العلمى صـ٤٥ دار منير بالقاهرة ١٩٤٧م.

(٣) هذا التصور خيالى، افتراضى، لا يقوم على ناحية واقعية، حتى أوقات المجاعات، بدليل أن الصحابة رضوان الله عليهم فى عام المجاعة كانوا يأكلون أوراق الشجر، ويعطى كل منهم من عجز عن الوصول إليها، إيثاراً، وتسليماً، ومن ثم فالتطوريون يركزون على الجانب المتوحش فى الإنسان، وليست لهم دراية بالجانب الإنسانى، الذى يقدّم الإيثار على الأثرة.

الإنسان جبلته الطبيعة على غريزة التملك(١) أو الاستقلال الذاتى عن المجموعة التى يعيش بينها، حينئذ يحدث تنازع، ينتهى بإهلاك فرد واستبقاء آخرين، ولا يكون الاستهلاك إلا لمن عجز عن المقاومة والاستبقاء لمن تمكن من الانتصار(٢).

ويعتقد أنطوان أن هذا التنازع قد يكون مرده إلى المحافظة على الكينونة الفردية(٣) ومتى كانت الممتلكات الشخصية لفرد ما غير كافية بمتطلباته، فإنه يسعى إلى استكمالها، وكل فرد يحدث له نفس التنازع، وبناء عليه صارت فكرة تنازع البقاء مبدأ حيوياً (٤).

غير أن " الفرد باتو" يقرر هذه المسألة فيقول: " في سبيل البقاء سيحاول كل فرد الحصول على متطلباته الذاتية، بغض النظر عن متطلبات الآخرين، ومن المؤكد أنها سوف تتعارض، وحينئذ فلا مناص من وقوع التنازع الحتمى بينهم، وكذلك الحال في كل أفراد النوع الواحد، ومن ثم يتحول

---

(١) عدّل علماء النفس من مفرد الغريزة إلى الدافع، واعتبروا أن الغريزة تكون فى الحيوان، أما الدافع فإنه يكون فى الإنسان، وبناء عليه، أمكن لهم تعديل هذا المصطلح فى الدراسات الإنسانية المعاصرة، راجع للدكتور السيد محمد المرسى: الدافعية والانفعالية فى السلوك الإنسانى دراسة تنظيرية صـ١١٤، ١١٥ طبعة= = المقطم ١٩٩٨م، وراجع للدكتورة نجيبة الحصرى: علم النفس والأخصائى الاجتماعى صـ٩٨ دار النهضة بالقاهرة.

(٢) راجع لجاكوب برونوفسكى: التطور الاجتماعى مشكلاته الأساسية والحلول العلمية صـ١٥٧.

(٣) الكينونة مصطلح تطورى يقصد به الفرد ومجموعة مقومات الحياة، التى لا استغناء له عنها، بحيث تشمل جسمه، وعقله، ونفسه، وممتلكاته، على الناحية الإجمالية، راجع لجورج بروتر: المصطلحات التطورية والفلسفة الحديثة صـ١٣، ١٤ ترجمة شاكر زكريا، مكتبة بيروت ١٩٩٣م

(٤) راجع لإلياس رمزى أنطوان: التطور العلمى صـ٤٥ ومن البيّن أن هذه الفكرة المتعلقة بعدم وفاء كل فرد بمتطلباته، تأصل فى الإنسان العدوان بدل العمل، وتدفعه إلى العنف بدل الاستقامة ولو أنه حوَّل هذا الفرد إلى دائرة الاستفادة بملكاته، عن طريق العمل، والاجتهاد، لكان فكراً مقبولا.

التنازع إلى جميع الأنواع بشكل تلقائى" [١].

وهم متفقون على أن جميع الأحياء تتنازع على الطعام، وعلى إنسال النسل،تفعل ذلك على وعى منها كما هو الحال في الإنسان أو على غير وعى، كما هو الحال في النبات والحيوان [٢].

كما ذكر داروين أن التنازع من أجل الحياة يكون أكثر شراسة حيث يبلغ أشده بين الأفراد والضروب التابعة لنفس النوع إذا ما حدث تنافس بين بعضها البعض أكثر مما يحدث بين الأنواع التابعة لطبقات مختلفة [٣].

(**ب**) **المناقشة**:

من البيّن أن التطوريين رسموا صورة للإنسانية، وأسقطوها على الحيوانية، أو أنهم عكسوا، فجعلوا أسوأ ما في الحيوان من التوحش، والدافعية، هى القاعدة التى ينطلقون منها في تفسيرهم لهذا النوع من التنازع، غير أن التأمل المعرفى يصل بنا إلى مجموعة من الجوانب التى تتم مناقشته من جانبها، وسوف أعرضها فيما يلى:

١- أن تنازع البقاء من حيث، هو مبدأ تطورى، لم يتم الاتفاق على مفهومه، لدى التطوريين أنفسهم، بدليل ما ذكرت في صدر هذا البحث[٤] وبالتالى فإن الفكرة هولامية لا يعرف لها رأس من ذنب، ومثلها أولى أن يقع لها الإغفال والإهمال، بدل أن توضع في دائرة الاستكمال.

٢- أن تنازع أفراد النوع قام على أساس فرضى، يرتد إلى قطرة ماء واحدة، أو كسرة خبز واحدة، وهذا من الفروض الساقطة، بل إن دليل السبر والتقسيم يرفض تلك الفكرة، أما لماذا ؟ فلأن الله سبحانه وتعالى منذ خلق

(١) الفرد باتو: التحليل الرياضى لنظرية التطور الإحيائى صـ١٤٧ ترجمة عادل فوزى مراجعة الدكتور حسن عبد العليم زكريا طبعة المراكبى.
(٢) يراجع لسلامة موسى: نظرية التطور وأصل الإنسان صـ٨٥.
(٣) يراجع لداروين: أصل الأنواع صـ١٥٤.
(٤) راجع صـ ١٢: ١٤ حيث ذكرت مجموعة من التعريفات وبينت أنهم لم يتفقوا على واحد منها.

الخلق وقد ضمن لهم أرزاقهم حتى في المجاعات فإذا لم يتوفر خبز، فقد توفر بديله، والبدائل في دنيا الناس متعددة.

إن المؤمن الحقيقي يعي جيداً أن الأعمار والأرزاق أمور بيد الله سبحانه وتعالى، وأنها بيده سبحانه وحده، ومن ثم فالمؤمن الواعي يسعى للحصول على رزقه، ولا ينتزعه من يد غيره.

٣- أن الله سبحانه وتعالى جعل العالم تمثل فيه اليابسة ٢٩ قسماً، بينما الماء يمتد إلى ٧١، سواء أكان عذباً أم مالحاً، والواقع المعاش يقرر تلك الحقيقة، ولا ينكرها، بجانب أن الله سبحانه وتعالى جعل في طبقات الأرض العليا شرايين مائية، تتفجر منها المياه كأنها صنابير، تغذى المحتاجين إليها يدل عليه قوله تعالى ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾(١).

ومن ثم، فإن فكرة التنازع بغية قطرة الماء، أو كسرة الخبز، لا يصلح أن يكون دليلاً أو مستنداً، على هذا التنازع.

٤- أن العاطفة الإنسانية خلقها الله تعالى في بنى البشر، بل إن الله تعالى غرس الرحمة في قلب الحيوان، بدليل ما نراه في الطيور التى تقطع مسافات طويلة وقد حملت غذاءها وغذاء أولادها، وتحافظ عليه، ثم تذهب به إليها، فتزقه في أفواهها، وتعلمها كيفية تناول الطعام، حتى إذا استوت وصارت قادرة على اكتسابه، أخذتها فأرتها طريقه.

كما دلت السنة المطهرة، على أن هذه الرحمة قد غرسها الله في تلك الكائنات، ومنها رحمة الفرس بولدها، حتى أنها ترفع حافرها عنه، خشية أن تصيبه، قال ﷺ « جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين

(١) سورة المؤمنون: الآيات (١٨: ٢٠).

جزءاً، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق، حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه»[1].

ومحل الشاهد أن الفرس ترفع حافرها عن ولدها خوفاً من أن تصيبه، فهل تنازعه في طعام، أو شراب، أو ما شابه ذلك.

٥- افترض التطوريون أن التنازع على البقاء يبلغ ذروته متى كان بين أفراد النوع الواحد، ولكن الواقع يكذب ذلك الافتراض، ومما يشهد لذلك ، ما حدث في غزوة اليرموك، عندما صرع ثلاثة من المسلمين متأثرين بجراحهم، وقد استسقوا ماء، فجئ إليهم بشربة ماء، فلما قربت إلى أحدهم، نظر إليه الآخر، فقال: ادفعها إليه، فلما دفعت إليه نظر إليه الآخر، فقال: ادفعها إليه ، فتدافعوها كلهم من واحد إلى واحد، حتى ماتوا جميعاً ، ولم يشربها أحد منهم. [٢]

فلو كان التنازع من أجل البقاء على شربة ماء، ما تدافعها هؤلاء الثلاثة، وقد كان كل واحد منهم أولى بها لإنقاذ حياته.

٦- أن فرضية التنازع للبقاء، تتمثل فيها إشكالية أنثر بيولوجية[٣] مردها إلى تصور خيالى، لا إلى واقع عملى بدليل أن الجماعات الإنسانية التى تقيم في مكان واحد تتعاون فيما بينها، لتواجه أخطار الطبيعة، وتقلل من حدتها وتأثيراتها.

---

(١) أبو عبد الرحمن محمد بن ناصر الدين الألبانى: مختصر صحيح البخارى كتاب " الأدب " باب " جعل الله الرحمة مائة جزء " ج"٤" صـ٦٥ رقم " ٢٣١٨ " مكتبة المعارف بالرياض ط"١" سنة ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

(٢) يراجع لابن كثير : البداية والنهاية جـ٧ صـ١٥ تحقيق على شيري ، دار إحياء التراث العربي الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٣) الانثر بيولوجيا: علم دراسة السكان فى وقائعهم المجتمعية وارتباط ذلك بالمتطلبات الحياتية.

النوع الثاني: تنازع الكائن مع قوى الطبيعة

(أ) **العرض**:

هذا النوع من التنازع يطلق عليه التطوريون التنازع المفعولى [1]، ويقصدون به تنازع الفرد أيا كان نوعه مع قوى الطبيعة [2] حيث يرون أن الفرد، الذي استطاع البقاء، بعد تنازعه مع أفراد نوعه لن يكون آمنا يستوى في ذلك الإنسان والحيوان،وفى ذات الوقت، فإن الفرد الطبيعى – ابن الطبيعة – سوف يتنازع مع الظروف البيئية، سواء المحيطة به، من حرارة، وتسحر، ومياه، أو الطارئة عليه، كالرعد، والبرق، والزلازل، والبراكين، وغيرها من حيث إنها تأتيه رغما عنه.

وقد تكون الكوارث الطبيعية في أشكال متخالفة، أو متوافقة، كالأمطار المغرقة، والأعاصير المدمرة، كلها تهدد حياته بما يسفر عن ذلك من نتائج تدميرية، فماذا هو فاعل أمامها، إنه يحاول تفاديها أو السيطرة عليها، ولكن هل ستستسلم له، ويحقق هو الانتصار [3].

ويعتقد التطوريون أن تنازع الفرد مع الطبيعة، أو البيئة الطبيعية، هو من أكثر المظاهر الدالة على تنازع حب البقاء، يقول " بوتر" إن الإنسان وليد الطبيعة ولكنها قد تقسو عليه أحيانا، حتى إن العرى الوثيقة بينهما، لا تنفصل، ويتحول هو من الابن المدلل إلى المعتدى عليه، الذي يحب أن يثأر لنفسه، وأن يواجه الطبيعة مهما كانت قسوتها أو ضراوتها[4].

وبناء عليه صارت عمليات الكر والفر، بين الكائن أيّا كان هو،

(١) راجع للأستاذ محمد على الطنطاوى: دراسات فى الكائنات الحية صـ٧٣ القاهرة ١٩٦٥م.

(٢) يراجع لبخنر: شرح بخنر على مذهب داورن المقالة الأولى صـ١٠٠ ضمن مجموعة الدكتور شبلى الشميل: فلسفة النشوء والارتقاء دار مارون عبود ١٩٨٣م.

(٣) راجع لجاكوب برونوفسكى: التطور الاجتماعى صـ١٦٣.

(٤) راجع لجيمس أندريه بوتر: التطور والمشكلات الطبيعية صـ٤٣ ترجمة عادل فوزى مراجعة خالد الذكر، مكتبة المقطم ١٩٩٨م.

والطبيعة، وفى ذات الوقت فإن الكوارث الطبيعية غادرة، تأتى من غير توقع، إنها كلص يختبأ لأصحاب المتاع، حتى إذا غفلوا عنه هاجمهم لاستلابه، فإذا حاولوا المقاومة فتك بهم [1].

وما الطبيعة إلا النباتات، والحيوانات، والفضائيات الكونية، وغضبة الطبيعة لا تنصب على نوع بذاته، ويجب أن تكون مقاومتها، والتنازع معها من الجميع فلا يتحمل الإنسان وحده عبأ هذا التنازع ولا المقاومة.

(ب) **المناقشة**:

من الواضح أن تلك الفكرة لعب فيها الخيال دوراً كبيراً، وصارت جوانبها متسعة، غير أنى أحاول جاهدة أن ألملم أشتاتها، وأجذب أطرافها من نواصيها، من خلال المناقشة في عبارات محددة.

١- أن التطوريين لم يحددوا التاريخ الذي سيتم فيه التنازع مع الطبيعة، وقواها، هل سيكون بعد الانتهاء من تنازع أفراد النوع الواحد فيما بينهم، أم سيكون في ذلك التاريخ فتظهر أنواع عديدة من النزاعات، حتى تكون كالنار المشتعلة من كل الجهات، لا يستطيع أحد إخمادها، أو تفادى أخطارها[2].

غير أنها فكرة عبثية لا تقوم على المعقول، وإنما تقوم على العبث، واللامعقول وقد ظهرت في الوجودية الملحدة، كما ظهرت في الوضعية المنطقية، وكلها تدعوا إلى العنف، وتركز على الدوافع المتوحشة في

---

(١) الدكتور فرج السيد ثابت: التطور بين الأنصار والخصوم صـ١٤٧، القاهرة طبعة ثابتة ١٩٧٧م، وراجع للدكتور أنور عبد العليم: قصة التطور صـ١٠٧ وللأستاذ حسن محمد صبرى: التطور ومشكلاته صـ١٥٣.

(٢) الخيال المنضبط قد يحقق نوعاً من الإبداع العلمى، أو المعرفى، بدليل أن المستجدات العلمية، والتقنيات الحديثة، بدت أول أمرها خيالاً منضبطا، ثم أخذ يتدرج من خلال جملة قواعد، حتى صار واقعاً ملموساً، ومنه صناعة السيارات، والطائرات وغيرها من المستجدات العلمية، ويعرف بالخيال العلمى، وهو أحد مناهج البحث فى الوقت الحاضر، راجع للدكتور السيد محمد السيد: علم المناهج المقارن أصوله ونظرياته صـ٦٣ مكتبة رأفت بالقاهرة طبعة أولى ١٩٩٣م.

الإنسان، ثم تسقط هذا وذاك على الكائنات الأخرى.

٢- أن ما يجرى في الكون من رعد، وبرق، وأمطار، وحرارة، وبرودة، لا دخل للإنسان فيها، إنما هى من سنن الله وآياته في الكون، قال تعالى ﴿وَمِنْ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٦٤﴾﴾(١).

وبناء عليه فإن التأمل فيما يجرى على هذا النمط، يؤكد أنها من سنن الله، وحكمه جل علاه، وكل ما فيها قائم بقدره، فإن كان من قبيل النعم، فالمراد به استمرار الشكر، وإن كان من قبيل المهالك، فالمراد منه اختبار العبد في النوازل، وهذا مما يستوجب الصبر، فكل نعمة إذا حافظ عليها بنو الإنسان عن طريق الطاعات أزادها الله لهم، فإذا بدلوها بالمعاصى تحولت إلى نقم.

٣- أن المسلم يعرف قيمة الأقدار، فهو لا يكتمل إيمانه إلا إذا كان الرضا بالقدر متمكناً من عقله، وضميره الحى، ولذا فهو يأخذ بالأسباب المتاحة، مع تفويض الأمر إلى الله ﷻ.

(١) سورة الرعد: الآيتان (١٢، ١٣).

النوع الثالث: **تنازع الإنسان مع الحيوان الأعجم** (١).

(أ) **العرض**:

يعتقد التطوريون أن تنازع البقاء أفرز نوعاً ثالثاً عماده الإنسان، وهو الحيوان الناطق، مع الحيوان غير الناطق، يستوى في ذلك المفترس والأليف، أو ساكن الغابات المتوحش، وساكن البيوت المستأنس، ويعتقدون أيضاً أن الإنسان من أجل حب البقاء يأكل الحيوان المستأنس، ويأكل صغاره، ويشرب ألبانها، حتى ولو أدى ذلك إلى موتها، وهو ما يفعل ذلك إلا بناء على رغبة حب البقاء(٢).

ويذهب بعض التطوريون إلى أن الإنسان، يتنازع مع الأسد، والنمر، والذئب، وغيرها من الحيوانات المفترسة، التى تبحث عن غذائها، لتحفظ به حياتها، وفى سبيل ذلك تستخدم التلقائية، وربما العشوائية، أو القصدية، طبقاً لإمكانياتها الذاتية (٣)

لكن هذه الحيوانات المفترسة، في سبيل الوصول إلى تلك الغايات، قد تصطدم بالإنسان، فلا يكون أمامها سواه، وحتماً ستشبع غريزتها، وترد جوعتها، وبناء عليه سوف لا يخضع هذا الفرد إلى ذات التهديد، وإنما سيحاول المقاومة من باب حب البقاء وهنا تظهر رغبتان متصارعتان، الغاية

(١) ذكر الأعجم بعد لفظ الحيوان فيه تنبيه إلى أن المراد ليس هو الإنسان، الذى يعرف لدى المناطقة بأنه حيوان ناطق.

(٢) يتصور التطوريون أنهم بهذا يتحدثون عن علاقة غير متكاملة بين الإنسان، والحيوان المسخر له، الوارد ذكره فى قوله تعالى ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ۝٦ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝٧ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ سورة النحل: الآيات (٥: ٨).

(٣) راجع للأستاذ محمد على طنطاوى: دراسات فى الكائنات الحية صـ٧٧ وراجع لألفرد باتو: التحليل الرياضى لنظرية التطور صـ١٥١.

بينهما واحدة، رغبة الحيوان المتوحش في البقاء، ولو على حساب الإنسان ورغبة الإنسان في البقاء ولو قتل الحيوان[1].

وبناء عليه، سيكون الصراع على أشده، ولن يفرط طرف لآخر، مهما كانت المغريات، لأن الحياة فرصة واحدة، فمن عاشها فقد عاش الحياة، ومن ضاعت منه فلا حياة.

ويذكر باتو أن طمع كل منهما – الإنسان والحيوان المفترس – في الحياة، سوف يفرض عليه أن يهاجم، ويسبق قبل أن تتم مهاجمته، والسبق عليه، من باب أن السابق فائز، والمصلحة توجب تلك المهاجمة، حينئذ تكون مشروعة إحيائيا [2].

إن تنازع الفرد الإنسانى مع الحيوان المفترس، لابد فيه من استخدام العضلات، والآلات، والملكات، وبذل كافة الإمكانيات، ولما كان الإنسان يملك الملكات والعقل، فإن الأسد مثلاً يملك العضلات والآلات، حينئذ يكون الصراع فيه صورة من التكافؤ الظاهرى، ولكن تحسم المعركة بالنسبة لمن استطاع توظيف ما لديه بسرعة هائلة، حتى يحسم نتيجة البقاء [3].

وهكذا ظهر ذلك النوع معبّراً عن نزعة قائمة في صدور التطوريين، غايتها هدم أية علاقة تواصل بين الإنسان، والحيوان الأعجم، مستأنساً كان أو غير مستأنس.

(**ب**) **المناقشة**:

١ – تصور التطوريون من مبدأ مواجهة العنف، وانتشار ثقافة اليأس، أن صداماً واقعاً على سبيل الحتم بين الإنسان والحيوان الأعجم، مفترساً أو مستأنساً وغاب عنهم أن الإنسان منذ خلقه الله تعالى، وهو يتعامل مع

(١) يراجع لإلياس رمزى أنطوان: التطورالعلمى صـ٩٣.
(٢) راجع لألفرد باتو: التحليل الرياضى لنظرية التطور صـ١٨١، ١٨٢.
(٣) راجع لجاكوب برونوفسكى: التطور الاجتماعى صـ١٧١، ولألفرد باتو: التحليل الرياضى صـ١٩٣.

الحيوانات بما يتناسب معها، وقدرته على استئناس الكثير منها، حتى ولو كانت مفترسة، ويشهد لذلك ما نراه من تدريب الأسود وغيرها، على الأعمال التى تسمى بأعمال السيرك.

٢- كما أن الحيوان المستأنس مسخر من قبل الله تعالى لمنافع الإنسان، ولذا كلف الله الإنسان غذاءه، وشرابه، ودواءه، ورعايته، يدل عليه أن البعير الذي اشتكى صاحبه لرسول الله ﷺ وذكر أنه يأدبه ويجيعه فوجه الرسول ﷺ صاحب البعير إلى ما يجب إتباعه في قوله «ألا تتقى الله في هذه البهيمة التى ملكك الله إياها فإنه شكى إلىّ أنك تجيعه وتدئبه » [١].

٣- وقد أرسى الرسول ﷺ قواعد الرحمة بالحيوان فى قوله ﷺ ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً فيأكل منه طيرٌ ، أو إنسان، أو بهيمة، إلا كان له به صدقة" [٢]

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئراً ، فنزل فيها، فشرب، ثم خرج، فإذا كلب يلهث، يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ منى، فنزل البئر، فملأ خفه ماء، ثم أمسكه بفيه، حتى رقى، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له ، قالوا: يارسول الله، وإن لنا في البهائم لأجراً ؟ فقال : في كل كبدٍ رطبة أجر". [٣]

---

(١) ضياء الدين محمد بن عبدالواحد المقدسي: الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم فى صحيحيهما جـ٩ صـ١٥٨ دراسة وتحقيق د/ عبدالملك بن عبدالله بن دهش، دار خضر بيروت، لبنان طبعة ثالثة ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

(٢) رواه الإمام البخاري في صحيحه كتاب (المزارعة) باب (فضل الزرع والغرس إذا أكل منه جـ٣ صـ١٠٣ حديث رقم (٢٣٢٠) تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر دار طوق النجاة طبعة أولى ١٤٢٢هـ.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب (السلام) باب (فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها) جـ٤ صـ١٧٦١ رقم (٢٢٤٤) تحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقي – دار إحياء التراث العربي بيروت.

فأي تنازع من أجل البقاء بين الإنسان والحيوان الأعجم ، على كسرة خبز، أو شربة ماء ، كما يدعى التطوريون.

٤- أن الحديث عن الصراع بين الإنسان والحيوان الأعجمى، غير مقبول في ظل الأبحاث العلمية، التى أكدت قدرة الإنسان على إخضاع الحيوان، حتى المفترس، والاستفادة منه، عن طريق إجراء التجارب البحثية عليه، ولم يكن تنازع البقاء هو الغاية، والشواهد على ذلك كثيرة في دول العالم المتقدم.

٥- كما يشهد الواقع المعاصر، أن بعض الناس يمارسون أنواعاً من التعديات، على بعض الحيوانات، لأغراض متعددة، لم يكن من بينها تنازع البقاء،كالصيد لأجل المتعة، والترف، الذي يقوم به بعض المترفين في أماكن معينة، كذا التعدى على بعض الحيوانات، لاقتنائها من أجل الحصول على ريشها، كما في النعام، والطاووس أو حتى أصوافها، وجلودها، وهذه التعديات لم تكن لغرض تنازع البقاء أبداً.

النوع الرابع: تنازع الحيوان مع مثيله أو النبات:

(أ) **العرض:**

يمكن النظر إلى ما قاله التطوريون في هذا النوع من جانبين، جانب قد يتعلق بالمفترس مع الأليف، أو بآكل النبات مع ذات النبات، أما لماذا ؟

فلأن القسمة العقلية تفرز الصورة الأولى، وهى تنازع الحيوانات العجمى مع بعضها، فالأسد مثلاً يعمل على بقاء نوعه، وهو يتغذى على اللحوم، والغزالة تعمل على استبقاء نوعها، وهى ليست آكلة لحوم، فالأسد يتربص بالغزالة، وهى تهرب من الأسد، وكلاهما يحافظ على تنازع البقاء، فأيهما الذي سينتصر ؟[1].

ويذهب التطوريون أيضاً إلى أن ما يقع في تلك الحالة، إنما هو نوع من إشباع الرغبة ويؤدى في النهاية إلى إفناء أحدهما للآخر [2].

ليس هناك شك في أن الذي يقع عليه الإفناء هو الأضعف، بينما الذي يستمر في حكم البقاء هو الأقوى، طبقا لنواميس التطور، وإذا كان الأقوى هو الذي انتصر، فإنه سيظل آخذاً في هذا الجانب، ولن ينهزم أبداً، كما لا تفنى أفراده، بينما الآخر سوف يفنى، وتفنى جميع أفراده، ويطلق عليه اسم الحيوانات المنقرضة [3].

حسبى من هذا التصور، أنه خالٍ من شواهد عملية، ولو أن التطوريين استلهموا روح التجربة، لقلنا إنهم يقدمون جوانب معرفية صحيحة، غير أن ذلك مفتقد بالنسبة لهم.

(١) هذا النوع ليس فيه شئ من التنازع، لأن الأسد سوف يهاجم أما الغزالة فسوف تهرب من الأسد ولا يعقل أن يكون الكر كالفر، والإقبال هو الإدبار، لأن ذلك مما يمثل المغالطات المعرفية.

(٢) يراجع للأستاذ فايز فرح رمسيس: الإحيائيون فى الميزان صـ٦٣ دار القلم ١٩٧٥م، ويراجع لألفرد باتو: التحليل الرياضى لنظرية التطور صـ١٩١.

(٣) يراجع لجورج جوهر: الطريق إلى العلم صـ١٦٤، ترجمة فؤاد على طبعة القاهرة ١٩٨٣م.

ويعتقد التطوريون أن كل كائن حى يسعى للمحافظة على ذاته، يستوى في ذلك الإنسان والحيوان، مع الاختلاف في التوجهات، وكذلك الطرائق والنوعيات [1].

ويعتقد جوهر أن تنازع الحيوان مع النبات من الأمور المعتادة، لكن المشكلة عندما يكون هذا النبات غذاء للإنسان والحيوان،فأيهما الذي يظفر به، هل الإنسان أم الحيوان؟ ونعود إلى نقطة التنازع بين الإنسان والحيوان[2].

غير أن النبات هو الآخر من باب المحافظة على نفسه، أخذ يعد ذاته بوسائل المقاومة، ومن أهم مظاهرها بروز أشواك بين أغصانها، والألحية[3] حتى تدافع بها عن نفسها، أو تعلو قامتها كثيراً، بحيث لا يتمكن حيوان من تسلقها، وربما أخرجت ثماراً مرة المذاق، بحيث تقتل من يطعمها، وبالجملة يمكن القول بأن النبات يبذل جهده للدفاع عن نفسه في مواجهة أعدائه[4].

غير خاف أن هذا النوع من التنازع بصورتيه، قد برز إلى حد كبير على النحو الذي قال به التطوريون، ولكن تبقى عملية مهمة جداً، وهى مناقشة هذه الأفكار من النواحى التى يمكن الوصول إليها، وذلك فيما يلى:

(**ب**) **المناقشة**:

١ – افتراض تنازع الحيوان المفترس مع الأليف، يعبّر عن نزعة بعيدة كل البعد عن مقاصد الشريعة الإلهية، لأن الله تعالى خلق كائنات يغتذى

---

(١) يراجع لألفرد باتو: التحليل الرياضى لنظرية التطور صـ١٦٣، ١٦٤.

(٢) يراجع للدكتور محمد زكى عبد ربه: تطور الكائنات الحية الدوافع والأسباب صـ٤٣ دار الفجر الجديد صـ١٩٨٧.

(٣) الألحية قشر كل شئ ويضرب به المثل فيقال لا تدخل بين العصى ولحائها والمعنى لا تدخل فيما لا يعنيك كما يطلق على الصفة الظاهرة من بعض الأعضاء كظاهر الكلية والدماغ، يراجع للدكتور الكومى حسين الكومى: الضوابط اللغوية صـ١٣، ١٤ مكتبة الفهد طـ"١" القاهرة ١٩٩٥م.

(٤) يراجع للدكتور محمد زكى: تطور الكائنات الحية صـ٤٦، ٤٧.

بعضها على بعض لحكم يعلمها الله، وجرى بها قضاؤها، ويتم تنفيذها في قدره، فمثلاً الإنسان يغتذى على لحوم الحيوانات، وألبانها، ويستفيد أيضاً من الحيوانات المفترسة، حيث إنها تصرف القابل للاستئناس، حتى يكون قريباً من الإنسان، فتسهل السيطرة عليه، والاستئناس له.

٢- أن حكمة الله تعالى جرت بخلق حيوانات يأكلها الإنسان، ويستفيد بها، وأخرى يربيها، ويحرم عليه لحمها كالخنزير مثلاً، لأنه يغتذى السبع على لحمه، فكأن الإنسان يربى غذاء السباع، وتقوم السباع بمطاردة الحيوانات التى يغتذى عليها الإنسان من باب المبادلة، وسبحان الذي خلق كل شئ فقدره تقديراً (١).

كما أننا إذا نظرنا إلى الخنزير مثلاً، وجدناه يغتذى على الفضلات، لا يقترب من غيرها، وهنا تحدث عملية المبادلة البيئية، بمعنى أن الخنزير لو لم يغتذ على تلك الفضلات، لامتلأت البيئة بالقاذورات، حينئذ لا يكون الخنزير مدافعاً عن وجوده من ناحية البقاء، وكذا الحال مع باقى الحيوانات.

٣- أن تنازع البقاء لم يدر في وعى الحيوان الأعجمى لأنه لا يعرف معنى الحياة، حتى يدافع عنها، كل ما في الأمر أنه يدفع عن نفسه الأذى من الناحية الفطرية، وتلك من السنن الإلهية، وبناء عليه تكون فكرة تنازع البقاء بين الحيوانات المفترسة والأليفة غير واقعة.

٤- الواقع المعاش يحكم بنقص تنازع البقاء، فقد صارا القط والكلب أليفين، مع أنهما في الأصل يجب أن يكونا عدوين، فهل فات التطوريون هذه

(١) هناك أفعال وأحكام لله تعالى، عرفت الغاية منها، وسميت الأحكام التعقلية، أو التعليلية، وهناك أخرى لم تعرف الحكمة منها وتسمى التعبدية.

المشاهدة، أم أنهم أغمضوا عقولهم عن تأملها، والنظر فيها (1).

٥- أن فكرة دفاع النبات عن نفسه فكرة غريبة، لأن الذي يدافع عن نفسه هو الذي يستشعر الخطر، ويحس به، فإذا كان النبات يدافع عن نفسه من خلال الأشواك، فهل تناسى هؤلاء أن الإنسان يقطع تلك النباتات، ويجردها من أشواكها، ولم نسمع يوماً أن نباتاً منها منع الإنسان من الوصول إليه، ولا ينكر ذلك إلا من فقد الضوابط العقلية، ووصف الأشياء بغير صفاتها الحقيقية.

ما أدرى هؤلاء التطوريون أن الأشواك التى قد تكون في كثير من النباتات، إنما هى نوع من الغذاء لكثير من الحيوانات، وتكون أكثر فائدة عند جفافها، فالإبل مثلاً تغتذى على الأشواك، المنبتة في الأرض، وتتحول في جسدها إلى طاقة، وبنية عضلية، لا تتوافر لها إذا تناولت أنواعاً أخرى من الغذاء.

وفى تقديرى أن فكرة تنازع البقاء غير سوية، لم تنل إجماعاً على ناحية معرفية، بل الشواهد الحياتية على غير ما ذهبوا إليه، وآية ذلك أن الكائنات نراها في ازدياد، تتعدد أنواعها، وتتكاثر مظاهرها، وتسبح بحمد ربها، وتعلن حيناً بعد حين، أنها من سنن الإله العليم الحكيم.

ثم إن التنازع من أجل البقاء يؤدى إلى ندرة الشئ، فلو افترضنا أن حيوان يتغذى على آخر، فهذا حتما يؤدى إلى ندرتهما معاً، وذلك لأن المأكول ستقل أعداده، لأنه طعام للآخر، وكذا الأكل سوف تقل أعداده، نظراً

---

(1) من المشاهدات اليومية أن يوجد الكلب باحثاً عن غذائه، فى صناديق القمامة، أو غيرها، ويشاركه القط نفس الغاية، وكذلك الحال مع الفئران، والقطط، وكنا فى الماضى القريب نعرف كم يخاف القط من الكلب، وكم يخاف الفأر من القط، فهل حدث لتلك الحيوانات نوع من التبلّد، أم أن الأفتراسية منها قد تدنت ؟.

لندرة المأكول، الذي هو في الأصل طعام له، والواقع يكذب ذلك، لأن الكائنات في ازدياد مستمر، وقد اعترف دارون بذلك [1].

كما أنوه إلى أن هذه الأفكار، لا ترتقى إلى أن تكون معتقدات مهما أضيف إليها من الإضافات، ولكنها تمثل الإلحاد في دين الله، ويعمل أصحابها على النيل منه، والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

(١) يراجع لدارون : أصل الأنواع صـ١٤٠، ١٤١.

الخاتمة

المعروف لدى أهل العلم، أن الخاتمة تمثل الرصد الواعى لأبرز النتائج، وأهم التوصيات، وأبرز المقترحات، التى تدور كلها عند استخلاصها من ثنايا البحث، وجزئياته، حتى قالوا: لما كانت المقدمة تمثل التلخيص الواعى لمباحث البحث، فإن الخاتمة تمثل التلخيص الدقيق، لأهم نتائج البحث، وبناء عليه فإنى أقدم تلك الجوانب من خلال ما يلى:

أولاً: أهم النتائج:

١- أن الأبحاث العلمية، يجب أن تصنف بما يتفق مع موضوعاتها، وهو ما يعرف بالوصف العنوانى، فإذا جاءت الموضوعات بعيدًا عن العناوين المرصودة، ظهرت تباينات، تؤدى في الغالب الأعم، إلى فساد لا يرتجى من ورائه صلاح، وينطبق هذا على كثير من النظريات، التى تدعى العلم وهى بعيدة عنه.

٢- أن المبادئ التى قال بها التطوريون الإحيائيون، لم تخضع لنوع من الدراسات التطبيقية، بدليل أنه لن يتمكن أحد من الإعلان بأنه أقام تجربة عليها، ولو فعلوا ذلك لعلت أصواتهم، ومادام هذا الجانب التطبيقى لم يظهر فإن القوم بأنفسهم أعلنوا موت مبادئهم، قبل أن تولد، إذ يكفى لإعلان وفاتها، أنه لم يتم التطبيق عليها، في أية مرحلة من المراحل.

٣- أن كافة المبادئ الإحيائية، التى أمكن العثور عليها، لم تنل إجماعاً بين القائلين بها، لا من ناحية الترتيب الطبيعى، ولا من ناحية التأليف الوضعى، فلم يقل أحد مثلا أن مبدأ الانتخاب الطبيعى، سبق في الوجود مبدأ تنازع البقاء، ولم يقل أحد أن مبدأ التولد الذاتى قد بدأ مثل غيره من المبادئ الأخرى، وإذا كان الأمر لم يتم الاستقرار عليه من جانبهم، فقد بان أن المشكلة لديهم ما تزال مطروحة، لا على ناحية التأكيد، وإنما الشك، وعدم اليقين.

٤- أن مبدأ تنازع البقاء، أريد به تفسير العلاقة بين الكائنات الحية، دون اعتبار لطبيعتها، وخصوصية كل نوع منها، فتحولت كلها إلى ناطقة عاقلة، ذات رغبات محددة، تصطنع المناهج اللازمة، حتى تبلغ بها الغاية المقررة، وهذا في حد ذاته يجعل المسألة غير مقبولة، من الناحية الإحيائية ذاتها.

٥- أن مبدأ تنازع البقاء، يتعرض مباشرة إلى الأفعال الإلهية، والقاعدة عندنا نحن المسلمين أن أفعال الله تعالى محكمة، فالحكم في المستوى المعرفى علم وعمل، وهى بالنسبة لله تعالى العلم الكامل، والقدرة النافذة، واختلاف الكائنات فيما بينها دليل على وجود الخالق لها، فبان بهذا أن مبدأ تنازع البقاء لا مجال له في العقيدة الإسلامية.

٦- أن صياغة مبدأ تنازع البقاء، يعطى الفكرة ذاتها كينونة الاستبقاء عليها، فتتحول من فكرة أنشأها الذهن، إلى عقيدة يتمسك بها العقل، وما أكثر المعتقدات التى أنتجتها العقول، فأضرت بالناس دينهم، وألحقت بهم الخسارة في آخرهم.

٧- أن هذه المبادئ ليست هى الأولى، ولن تكون الأخيرة، في طريق الانفلات العقلى وإنما حولها أبواب كثيرة، تدور كلها في هذا الإطار، بعيدة عن المنطوق الشرعى، ولا أغالى إذا قلت، إن إطلاق كلمة المبدأ على تنازع البقاء، فيه تسامح من ناحية اللغة، لأن المبدأ هو القاعدة الكلية العامة، التى تنطبق على جزئيات كثيرة، بعد ترددها بين النظرية والقانون، وإصباغ القانونية عليها، وهو ما لم يتوفر في تنازع البقاء.

ثانياً: أبرز التوصيات:

١- وضع الأفكار التى يقول بها أصحابها في إطار معرفى، قابل إلى الصواب والخطأ، الصدق أو الكذب، ولا تتحول إلى عقيدة أبداً، لأن إطلاق لفظ العقيدة عليها فيه إغراء للسذج، حتى يظنوا بتساويها مع العقيدة

الإلهية، بينما هى في أصلها قضايا معرفية، والفرق بينهما كبير جداً.

٢- النظر إلى منشئى هذه الأفكار بوضعهم الحقيقى، فليسوا مقدسين، تأتى أفكارهم من فيوضات علوية، وإنما هم من جملة المخطئين، الذين تزين لهم شياطينهم، الزعم بكونهم أعلى من التنزيلات الإلهية.

٣- وضع تلك المفاهيم على دائرة البحث من جديد، إذ لا يجوز إطلاق اسم المبدأ العلمى على قضايا نظرية، وذلك لأنه يمتاز بالتجربة، وهذه المسائل لم تشهد لها تجربة، بل إذا قلنا بإمكانية التجربة، في الوقت الحاضر بان الفساد، وبخاصة أنهم اندفعوا في تصوراتهم من قطيع الأغنام، أو الأبقار، أو الخيول – حسب تصورهم الأول – إلى الإنسان، والنبات، ولم يميزوا بين مستأنس الحيوان،ومتوحشه، وبناء عليه فلابد من النظر الدقيق، والتعامل الهادف، مع تلك الأفكار، والقائلين بها.

أهم المقترحات:

(١) خطر التطور الإحيائى على العقيدة الإسلامية " عرض ونقد ".

(٢) أثر التطور الإحيائى على القيم الإنسانية.

(٣) خطر تنازع البقاء على الأخلاق العملية.

(٤) خطر تنازع البقاء على المبادئ التطورية.

المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم وعلومه.

* ابن كثير – الإمام أبوالفداء إسماعيل بن عمر

١- تفسير القرآن العظيم، تحقيق محمود حسن، دار الفكر، الطبعة الجديدة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

* الرازي – الإمام أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسين الفخر.

٢- مفاتيح الغيب ، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ.

* الزمخشري – الإمام أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد

٣- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، دار الكتاب العربي، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.

* السمرقندي – العلامة أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم

٤- بحر العلوم ، تحقيق الدكتور محمود مطرجي، دار الفكر بيروت.

*القرطبي – الإمام أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبى بكر

٥- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) تحقيق أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.

ثانياً : السنة النبوية وعلومها

* الألباني –العلامة أبو عبدالرحمن محمد بن ناصر الدين

٦- مختصر صحيح البخاري، مكتبة المعارف بالرياض، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

*البخاري – الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل

٧- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسنته وأيامه (صحيح البخاري) تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، شرح وتعليق الدكتور مصطفى ديب البغا، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

* مسلم – الإمام أبو الحسن القشيري ابن الحجاج
٨- المسند المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ تحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الكتاب بشرح الإمام النووي والإمام السيوطي.
* المقدسي – العلامة ضياء الدين محمد بن عبدالواحد
٩- الأحاديث المختارة أو المستخرجة من الأحاديث المختارة، مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، دراسة وتحقيق الدكتور عبدالله بن دهش، دار حضرموت، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.
ثالثاً: المراجع العامة
* ابن كثير – الإمام أبو الفداء إسماعيل ابن عمر
١٠- البداية والنهاية ، تحقيق على شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
* أبو طويلة – الدكتور محمد عبد الخالق:
١١- حكمة الله في خلق الإنسان مكتبة فوزى ١٩٨٤م.
* أنطوان – إلياس رمزى:
١٢- التطور العلمى للكائنات الحية دار منير بالقاهرة ١٩٤٧م.
* باتو – ألفرد:
١٣- التحليل الرياضى لنظرية التطور ترجمة عادل فوزى مراجعة الدكتور حسن عبد العليم زكريا طبعة المراكبى.
* بيتر – جورج:
١٤- الأفكار التطورية والتاريخ العام ترجمة زكريا فضل المكتب المصرى ١٩٩٥م.
*بروتر – جورج:
١٥- المصطلحات التطورية والفلسفة الحديثة ترجمة شاكر زكريا مكتبة

الجيل بيروت ١٩٩٣م.
* برونو فسكى – جاكوب:
١٦- التطور الاجتماعى مشكلاته الأساسية والحلول العلمية ترجمة وفاء شاكر مراجعة أمل ذكرى القاهرة ١٩٨١م.
* بوتر – جيمس أندريه:
١٧- التطور والمشكلات الطبيعية ترجمة عادل فوزى مراجعة خالد الذكر مكتبة المقطم ١٩٩٨م.
* ثابت – الدكتور فرج السيد حسن:
١٨- التطور بين الأنصار والخصوم القاهرة الطبعة الثانية ١٩٧٧م.
* جميل – الدكتورة وفاء عبد العظيم:
١٩- التطورات البيولوجية في الحيوان والإنسان دار الجيل ١٩٨٣م.
* جوهر – جورج:
٢٠- الطريق إلى العلم ترجمة فؤاد على القاهرة ١٩٨٣م.
* الحصرى – الدكتورة نجيبة:
٢١- علم النفس والأخصائى الاجتماعى دار النهضة بالقاهرة.
* داروين – تشارلس:
٢٢- أصل الأنواع ترجمة مجدى محمود المليجى، تقديم سمير حنا صادق، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٤م.
* رمسيس – الأستاذ فايز فرح:
٢٣- الإحيائيون في الميزان طبعة المقطم ١٩٧٣م، دار القلم بيروت ١٩٧٥م.
* السيد – الدكتور محمد:
٢٤- علم المناهج المقارن أصوله ونظرياته مكتبة رأفت بالقاهرة ١٩٩٣م.
* الشميل – الدكتور شبلى:

٢٥- فلسفة النشوء والارتقاء دار مارون عبود ١٩٨٣م.
* صالح – الدكتور سعدالدين السيد
٢٦- المعجزة والإعجاز فى القرآن الكريم ، دار المعارف بالقاهرة الطبعة الثانية ١٩٩٣م.
* صالح – الدكتور شعبان على:
٢٧- الذكر والأنثى مكتبة الأقصى ١٩٨١م.
* صالح – الدكتور محسن محمد:
٢٨- دارون والداروينية مكتبة الهدى ١٩٨٧م.
* صبرى – الدكتور حسن نشأت:
٢٩- الداروينية ومشكلاتها الحيوية مكتبة فوزى ١٩٧٤م.
* عبد ربه – الدكتور محمد زكى:
٣٠- تطور الكائنات الحية الدوافع والأسباب دار الفجر الجديد ١٩٨٧م.
* عبد السلام – الدكتور عز الدين محمد:
٣١- نقد الأفكار التطورية مكتبة رزق بالقاهرة ١٩٩٥م.
* عبد العظيم – الدكتور زكريا محمد:
٣٢- التطوريون الأوائل القاهرة ١٩٩١م الطبعة الثانية.
* عبد العليم – الدكتور أنور:
٣٣- قصة التطور دار القلم بالقاهرة.
* عبد القادر – الدكتور محمود محمد:
٣٤- بيولوجية الإيمان مكتبة القاهرة ١٩٧٤م.
* عتمان – الدكتور عبد الحميد.
٣٥- الفكر المادى الحديث.
* غلاب – الدكتور محمد:
٣٦- أصل الإنسان الهيئة العامة للتأليف والنشر ١٩٧١م.

* الفولى – الدكتور محمد مصطفى:
٣٧- بعض مظاهر التقدم العلمى في العلوم البيولوجية طبعة القاهرة ١٩٧٨م.
* فيد وكلير – فيشر:
٣٨- التطور الإحيائى دراسة علمية حديثة ترجمة عز الدين على طه مكتبة المعصراوى ١٩٦١م.
* فيشر – ادوارد:
٣٩- المبادئ التطورية ترجمة عدلى زكريا، مراجعة حسن طه مكتبة الشباب ١٩٨٥م.
* فيكتور – اندريه:
٤٠- التطور الإحيائى والمنظومة الطبيعة، ترجمة هناء خليل طبعة المقطم ١٩٨١م.
* كانون – جرهام:
٤١- نظرات في تطور الكائنات الحية ترجمة رشاد صادق القاهرة ١٩٨٥م.
* كرم – الأستاذ يوسف:
٤٢- تاريخ الفلسفة الحديثة مكتبة الدراسات الفلسفية، دار المعارف بالقاهرة الطبعة الخامسة
* الكومى – الدكتور الكومى حسن:
٤٣- الضوابط اللغوية مكتبة الفهد بالقاهرة ١٩٩٥م، الطبعة الأولى.
* متولى – الدكتور محمد عبد الحليم:
٤٤- من مظاهر التقدم في العلوم البيولوجية مكتبة النهضة ١٩٧٥م.
* المرسى – الدكتور السيد محمد:
٤٥- الدافعية والانفعالية في السلوك الإنسانى دراسة تنظيرية، المقطم ١٩٩٨م.
* موسى – سلامة:

٤٦- نظرية التطور وأصل الإنسان نشره إلياس أنطوان إلياس، المطبعة العصرية بمصر.

* مجموعة من المؤلفين

٤٧- علم الأحياء للصف الثالث الثانوي مراجعة الأستاذة الدكتورة فاطمة محمد مظهر ٢٠١٤ – ٢٠١٥م.

* نصر – الدكتور فوزى محمد:

٤٨- الهندسة الوراثية ومشكلاتها الحيوية، مكتبة سعيد رزق، عين شمس١٩٨٤م.

* هارد – أنتونى:

٤٩- التطور الحديث، ترجمة هناء صقر، القاهرة ١٩٩٣م.

* هيبان – جورج:

٥٠- العالم الإحيائى دراسة هندسية ترجمة عادل زكى مكتبة رأفت ١٩٩٥م.

فهرس الموضوعات